ذرائعية جنون (الجنس اللطيف) في الفن الروائي العراقي والإيراني ـ دراسة مقارنة ـ

Pragmatism of Madness (Fair Sex) in Iraqi and Iranian Art: A comparative Study

أ.م.د.محمد مهدي ياسين حسين الخفاجي

جمهورية العراق – جامعة ذي قار- كلية التربية الاساسية

University of Thi-Qar- Iraq

Email: mohammad240119@utq.edu.iq

Email: mohammad240119@gmail.com

Phone / هاتف: 009647801005391

1441-2020م

ملخص البحث :

لم تعد الذرائعية (Pragmatism) مذهبا فلسفيا بوصفها اسا مهما تعتمدها بعض الرؤى الكلاسيكة، كذلك لم تقتصر في مدلولاتها على جانب محدد بل توسعت وتنوعت لتكون مذهبا اجتماعيا واسعا يرى أن الحقيقة توجد في جملة التجربة الإنسانية : لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع ، وان المعرفة آلة او وظيفة في خدمة مطالب الحياة ، وان صدق قضية ما هو في كونها

مفيدة للناس، فهي إذن تعتمد على جملة من الأفكار والرؤى والاعتقادات التي تعدها منطلقا او نقطة للشروع في انبثاق الفكر الذرائعي من العدم الى الوجود.

كما ان الجنون هو فقدان التركيز وانعدام على السيطرة على العقل، أو هو عبارة عن مجموعة أنماط من السلوكيات الشاذة التي لا يعهدها العموم وغالبا ما تكون من دون وعى او إدراك او سيطرة على الذات وتصدر رغما عن الإرادة ، وينتج جرائه انتهاك لمحظور او عرف او عادات او معايير اجتماعية محددة بل وحتى مقدسات، كما يمكن ان يكون المجنون خطرا على نفسه خاصة والمجتمع عامة.

Abstract

Pragmatism is no longer became as a philosophical doctrine as an important foundation adopted by some classical visions, nor was it confined to its implications on a specific aspect, but rather expanded and diversified to be a broad social doctrine that believes that the truth exists in the entirety of human experience: not in theoretical thought that is far from reality, and that knowledge is a machine or a job in the demands of life, and the sincerity of an issue is that it is beneficial to people, then it depends on a set of ideas, visions and beliefs that the can be considered as a starting point or a point to initiate the emergence of pragmatic thought from non-existence.Also, madness is the loss of focus and lack of control over the mind, or it is a set of patterns of abnormal behaviors that are not common in the public and are often without awareness or consciousness or self-control and issued against the will, and this leads to violation of respected values or customs or specific social norms standards or even sacred things, and also mad people can be a danger to themselves in particular and society in general.

المقدمة :

المعرفة بالنسبة للذرائعية والذرائعيين تعد الأساس الذي تستند عليه في تتبع قاعدة أساسية تمارسها من اجل توضيح الأفكار الفلسفية والإحاطة بمضمونها ، كي يتيسر مناقشتها ، وان اول من تناول الأفكار هو بيرس عند تعريفه بمنهجه الجديد، كما ان اغلب الدارسين والمتخصصين قد اتفقوا على مفهوم شامل لظاهرة الجنون وعدوا كل جنون هو (خروجٌ عن المألوف) سواء اكان سلوكا او نمطا في التفكير، فكل ما يتعارض مع المألوف السائد في أي مجتمع عدوه ضربا من

الجنون وربطوا ذلك بشرط وحدود الزمان والمكان ، فأن افتقد احد الشرطين او كليهما فقد خرج عن هذا المفهوم .

- **الذرائعية (Pragmatism) :** هي اسم مشتق من ((اللفظ اليوناني براكما **(pragme)** وتعني العمل او العملي ، وتعني فعل وخصوصا شيء بكل معاني الشيئية، أي ما يتعلق بالشؤون ، أكانت سياسية ، ام دينية ، ام قضائية اذا ارتبطت بالكلام على البشر مثل : فاعل ، ماهر ، نافع ، .... اما ما يختص بالعمل ، بالنجاح ، بالحياة ، وخصوصا اذا اقترنت بنظرية المعرفة ، والواجب الأخلاقي))[1]، فهي اذن مرتبطة ارتباطا مباشرا بالفكر لان ((الفكر في طبيعته غائي))[2]، وتقوم الذرائعية على أن الأثر العملي ((هو المُحدِّد الأساسي في صدق المعرفة وصحة الاعتقاد بالحياة الاجتماعية للناس فالقيمة والحقيقة لا تتحددان إلا في علاقتهما بالممارسة العملية. وتتميز العَمَلانِيَّة أو البراغماتية عن الفعلانية كما حددها الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرز پيرس. وتشمل البراغماتية كل الحركة الفلسفية المتعلقة ب وليام جيمس وجون ديوي، ثم الفلاسفة الجدد الذين استأنفوا تراثهم الفكري من مثل ريتشارد رورتي وهيلاري پوتنام ونلسون غودمان وروبير براندوم))[3] ، هنالك رؤية خاصة انفردت بها الذرائعية عن ما سواها من الدراسات الحديثة حيث ترى ((ان للحقيقة علاقة ملازمة كليا والاختبار البشري ، فحقيقة القضية تكمن في كونها مفيدة ناجحة مرضية))[4] . وعلى هذا الأساس يمكن وصف الذرائعية على انها فلسفة تشجع الناس على أن يبحثوا عن الطرق وأن ((يفعلوا الأشياء التي تحقق أهدافهم بشكل أفضل، لمساعدتهم على تحقيق غاياتهم المرغوبة))[5]، وقد نشأت الذرائعية كمذهب عملي في الولايات المتحدة ((في بداية القرن العشرين : وقد وجدت في النظام الرأسمالي الحر الذي يقوم على المنافسة الفردية خير تربة للنمو والازدهار))[6] ، لقد وضع المؤرخ الفرنسي بوليب ثلاث سمات للذرائعية تتسم بها ولخصها بالتالي : ((أولا:- يعرض الذرائعي دائما أسباب الحوادث ومسبباتها . ثانيا:- يبدي الذرائعي رأيه دائما في صحة او ملائمة القراءات والأعمال المنجزة .ثالثا:- يقرن الذرائعي روايته بتعاليم سياسية ، عسكرية أو أخلاقية))[7] ، وترتكز الذرائعية على جملة من الأفكار والمعتقدات التي تعدها منهجا أساسيا تنطلق منه ومن أهم تلك الأفكار : ((- ان أفكار الإنسان وراءها ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولا ثم السير نحو السمو والكمال ثانيا.

- اذا تضاربت أراء الإنسان وأفكاره وتعارضت كان أحقها وأصدقها انفعها واجداها، والنقع هو الذي تنهض التجربة العلمية دليلا على فائدته.

- ان العقل خلق أداة للحياة ووسيلة لحفظها وكمالها ، فليست مهمته تفسير عالم الغيب المجهول ، بل يجب ان يتوجه للحياة العملية الواقعية .

- الاعتقاد الديني لا يخضع للبيئات العقلية : والتناول التجريبي الوحيد له هو أثاره في حياة الإنسان والمجتمع اذ يؤدي الى الكمال ، بما فيه من تنظيم وحيوية.

- النشاط الإنساني له وجهتان : فهو عقل ، وهو إرادة ،ونموه كعقل ينتج العلم ، وحين يتحقق كإرادة يتجه نحو الدين فالصلة بين العقل والإرادة))[8] .
لقد ورد لكانط مصطلح (الاعتقاد الذريعي) اذ انه ((يفرق ما بين الوجبات الذريعية – نصائح الحكمة المتعلقة بالرفاه- والموجبات التقنية أو قواعد المهارة من جهة ، وبين الموجبات العلمية أو

الوصايا الأخلاقية من جهة ثانية))[9]. وتقول الذرائعية ان الأفكار تكون حقيقة اذا كانت مفيدة في حالة معينة، كما ان للذرائعية مرتكزات تستند عليها وابرز هذه المرتكزات :

((- ان معاني الأفكار كلها انما تكون في نتائجها العملية .

- ان وظيفة الفكر هي ان يكون أداة للتكيف ورشدا للسلوك.

- ان المعيار الأول للحقيقة هو النتائج العملية للمعتقد)) [10].

ولا بد من الإشارة الى ان الذرائعية تعتمد اعتمادا مباشرا على علاقتها بالمعرفة، فقد أكد الذرائعيون عموما على وجوب البحث عن ((المعنى الحقيقي والوزن الصحيح للفكرة أو الاعتقاد أو النظرية في ميدان الوقائع الجزئية في صميم النتائج الحاسمة التي تنجم عنها))[11] . ان من المسلمات التي تعتد بها مبادئ الذرائعية هي ((تمييزها بين الواقعي من الفكري ، أو ما يجرب وما لا يجرب ، أو ما يسمح بإدخال الفكر الذي يجرب في عالم التجربة المحضة ليست التجريبية الا مسلّمة الواقعية))[12] . قد ألقت بظلالها على المرأة، وجعلت من هذا الكائن المفرط في الأحاسيس والمشاعر والعواطف شخصية تقع تحت طائلة تلك الضغوط والمؤثرات مما جعل منها خط الشروع الأول في ساحة المواجهة وخط الصد الاول الذي تحاصره تلك الضغوط اليومية، وبتوالٍ واستمرارية ومن دون انقطاع، وما ان تتفاقم تلك المؤثرات حتى تضعف الحصون المنيعة التي تتمترس خلفها الشخصية الإنسانية الكامنة وسلوكياتها وتصرفاتها لتبدأ تلك الحصون بالسقوط تباعا، ليكون مآلها الأخير هو انفصال الإنسان عن واقعه ووقوعه في دائرة ما يطلق عليه بالـ (الجنون).

لقد تطرق اللغويون لمفردة الجنون ففي لسان العرب نجد الجنون لغة بمعنى ((اشتقاق من الفعل الثّلاثي "جنن"، وله عدّة معان، "جنّ الشّيء يجنّه جنّاً: ستره. وكلّ شيء ستر عنك فقد جنّ عنك. وجنّه اللّيل يجنّه جنّاً وجنوناً، وجنَّ عليه يجنّ - بالضّمّ - جنوناً، وأجنّه: ستره...وفي الحديث: جنّ عليه اللّيل؛ أي: ستره، وبه سمي الجنّ لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمّه. وجنّ اللّيل وجنونه وجنانه: شدّة ظلمته وادلهمامه ، وقيل: اختلاط ظلامه))[13]. ان لما تتعرض له المرأة من ضغوط نفسية يومية متواصلة ، ومرورها بتجارب وضغوطات وأزمات إنسانية صعبة لما لها من آثار سلبية حتمية على نفسيتها وسلوكياتها وتوجهاتها وصحتها مما تنتج أمراضا عدة لها آثار خطيرة على حياتها وواقعها وديمومة بقاءها ومواصلة فعالياتها الحياتية اليومية. ((قد تنشأ الضغوط من داخل الشخص نفسه، وتسمى ضغوطاً داخلية، أو قد تكون من المحيط الخارجي، مثل العمل، العلاقة مع الأصدقاء والاختلاف معهم في الرأي، أو خلافات مع شريك الحياة، أو الطلاق، أو موت شخص عزيز، أو التعرض لموقف صادم مفاجئ.. تسمى ضغوطاً خارجية. وعلى العموم فإن الضغوط سواء أكانت داخلية المنشأ نتيجة انفعالات أو احتباسات الحالة النفسية وعدم قدرة الفرد على البوح بها وكبتها، أو ضغوطاً خارجية متمثلة في أحداث الحياة، فإنها تعد استجابات لتغيرات بيئية. فأحداث الحياة اليومية تحمل معها ضغوطاً يدركها الإنسان عندما يساير باستمرار المواقف المختلفة في العمل أو التعاملات مع الناس أو المشكلات التي لا يجد لها حلولاً مناسبة، أو تسارع أحداث الحياة ومتطلباتها، وهي تحتاج إلى درجة أعلى من المسايرة لغرض التوافق النفسي، وربما يفشل في هذه الموازنة الصعبة، فحتى أسعد البشر تواجههم الكثير من خيبة الأمل والصراعات والإحباط والأنواع المختلفة من الضغوط اليومية، ولكن عدداً قليلاً منهم نسبياً، هم الذين يواجهون الظروف القاسية))[14]. لقد عانت المرأة كثيراً وقد فاقت

معاناتها الرجل ، عطفا على الضغوط والممارسات التعسفية المسلطة ضدها من حيث عدم الاستقرار وسلب الحريات القمع والعنف الممنهج الممارس ضدها، وعدم الشعور بالأمان وسعيها الحثيث لاستعادة حرياتها وتحرير نفسها من الوصاية المسلطة عليها وكل وسائل العنف والاضطهاد التي تُمارس ضدها. ((فإذا كانت ردود الأفعال لدى الرجال تتضح بحالات التجهم والكآبة الطارئة، والتحدث بصوت مسموع وهو يمشي في الشارع (هلوسة)، فعند المرأة تظهر على شكل أعراض جسمية مثل انقطاع الطمث، وارتباك العادة الشهرية، والتوترات التي تعتري مرحلة ما قبل الحيض، والصداع، وحالات الانهيار ما بعد الولادة، والاكتئاب، وظهور أعراض سن اليأس المبكر. ومن الأعراض الظاهرة المصاحبة للاضطرابات، فقدان الشهية للطعام، أو الشراهة، أو أعراض عصاب الفم. فالنساء إذن معرضات لصنفين من الضغوط: - ضغوط تتعلق بهويتهن البيولوجية. و- ضغوط تتعلق بالممارسة الأسرية))[15]. اذ لا بد لكم الضغوط الهائل من مأل تراكمي اخير تؤل اليه ((يؤدي الجنون، كمفهوم عام وظيفة دلالية مزدوجة، تتغذى من مرجعيات معرفية وثقافية مختلفة، يتعلق كل طرف منها بالطرف الآخر.

-الدلالة الدينية- وتكتسي هذه الدلالة طابعا دينيا واضحا، نتيجة تركيزها القوي على التصور الغيبي لمفهوم الجنون، فمفرده جني في القرآن الكريم، تدل على كائن لا مرئي، له طبيعة نارية، يقول تعالى: « وخلق الجان من مارج من نار » لهذا فالجن (نوع من العالم ، سموا بذلك لاجتنابهم عن الأبصار) أي لاختفائهم عنها.

- الدلالة النفسية- تركز بعض الكتابات العلمية الحديثة، أثناء بحثها وتفسيرها لظاهرة، الجنون، على التصور النفسي والمرضي. فالمجنون يعني (الشخص المصاب بالاضطرابات النفسية، والاختلاط الذهني))[16]. فهو إذن :(استلاب لقوة العقل أو نقصه وخروج عن المألوف في زمان ومكان محددين)، وقد يتفاقم الحال ليكون الجنون مطلقا لكل المتحسسات او القوى العقلية.

- المجنونة في الروايات العراقية :-

ان من أهم بواعث الجنون ومسبباته هي الضغوط النفسية والانتهاكات وتوالي الأزمات المسلطة على المرأة ، كون المرأة كائنا حساسا وهبه الباري جلت قدرته هذا الإحساس المفرط لأنه قد أوكل إليه مهمة عظيمة جدا، وهي الإنجاب والتنشئة ، فكان على المرأة ان تتحمل أعباء جساما لا نهاية لها، وليس آخرها انها في مجتمعاتنا الشرقية التي تسيطر عليها الأعراف القبلية والعادات والتقاليد المتزمتة التي تقمع حرياتها حتى باتت الأعراف القبلية تلك ممارسة تسيطر على حياة المرأة ككل وتؤثر مباشرة عليها وعلى سلوكياتها ومسار حياتها، وقد كان للضغوط والممارسات والانتهاكات التي سُلطت على المرأة أثرها في سلب المرأة كل شيء حتى وصل الأمر الى سلبها لعقلها واجبراها على فقدان صوابها ، وهو رد فعل طبيعي لجملة الممارسات والضغوطات المسلطة عليها، ففي رواية (عطر التفاح) نرى ضغط المجتمع والأهل المفرط عليها, وظلم الأعراف والعادات لها, وحساسيتها المفرطة كلها عوامل دعتها إلى الجنون ليكون مآلها الأخير فقدان عقلها والانغلاق داخل نفسها : ((دنوت منها صارخاً...هل أنت مجنونة ؟ بأرتباك رفعت رأسها نظرت إلي بهلع , خنق صوتها وهي تصرخ وتشير بكلتا يديها لا ...لست مجنونة ... لست مجنونة ...هم يقولون هذا...لكني لست كذلك...صدقني...لست مجنونة))[17].

في مجتمعاتنا الشرقية باتت القبيلة تجعل من المرأة (فصلية) أي انها تُعطى هبة الى احد طرفي اي نزاع من المتخاصمين من اجل إطفاء تلك الخصومة والسيطرة على الخلاف وتطويقه كي لا يتسع مستقبلا او تترتب عليها تبعات تزيد الفجوة بين المتخاصمين، ولم يأبه احد بما ستعانيه تلك الـ (الفصلية) من ضغوط نفسية وأزمات لتتفاقم تلك الأزمات ويصل بها الحال الى فقدانها لصوابها (الجنون) في أخر المطاف، ((اذا ليس من السهولة بمكان التعامل مع رموز التراث ... ذلك انه يتعامل مع متطلبات كثيرة : التأريخ بأحداثة وشخصياته ، والحاضر بأحداثه وشخصياته ثم المزج بين هذه المتطلبات))[18] ففي رواية (دنيا الوجد) نرى ذلك قد تجسد بوضوح : ((قال الحاج مناتي : صدقت ما هو مقدار (الفصل) المطلوب ؟

- (الفصل) المطلوب قسمان : مال و (نسوان) . سأتحدث انا عن مقدار المال . أما الحديث عن (النسوان) فسيتكفل به ابن اخي (الملا خليل ابو العيش) ، لان الأمر يخصه ويخص الذين جُرحوا، ولأنه أكثرنا خبرة في هذا المجال. ابتسم كثير من الحضور، وأطمأن وفد المنكوبين، لانهم أحسوا ا ن ابا عودة يحاول ان يشيع أجواء الألفة في المجلس. قال الحاج مناتي : اطلب ما تشاء من (النسوان)، فهن كثيرات والحمد لله ! ونحن نريد ان نتخفف من اعبائهن ، حدثني عن المال))[19]. ونلاحظ من خلال الحوار السابق مدى الاستهانة والاستخفاف بالمرأة وامتهانها، بل وحتى لم يعطها أحد أولوية لمناقشة قضيتها وهو ما يدل على مدى الاحتقار والنظرة الدونية التي ينظرها اليها المجتمع، ويعدها عبأ جاثما على من يعيل بها، وبعد المداولة في موضع الأموال الذي تم تقديمه على موضوع المرأة بحسب الأولوية والأهمية وصل أخيرا الدور الى مناقشة قضية (النسوان) : ((بقيت (النسوان) .. هي قضية مهمة .

- هي مهمة (وميسورة) في الوقت نفسه . كم امرأة تريدون ؟ -الامر متروك كما قلت لابن اخي الملا خليل ...- ماذا تقول يا ابا وثاب ؟- ابتسم خليل قنديل قائلا! خمس (نسوان)، ولكن يمكن ان نستبدل أحداهن بعجوز حلوة نزوجها لعمي ابو عودة))[20]. اذ نلاحظ هنا مدى الاستخفاف بقيمة المرأة ومكانتها، فيجتمع مجموعة من الرجال قد يكون لهم صلة بالنساء او ليس لهم صلة أصلا ليقرروا منح امرأة او مجموعة من النساء هدية أو هبة الى أشخاص أغراب بداعي (الفصلية) وكأن المرأة هي سلعة أو رق تُستباح كرامتها ومكانتها وشخصيتها بل وحتى حرياتها من مجموعة رجال بداعي حل مشكلة بين طرفين فتكون هي الضحية التي يتم نيابة عن جميع الأطراف المتسببة أو غير المسببة للنزاع.

ان هذه الضغوط النفسية والانتهاكات والأزمات النفسية التي تُسلط على المرأة تجعل منها ضحية مأزومة موتورة ، وقد تفنن مجتمعنا في ابتداع أنواع عدة من هذه الانتهاكات، فنرى في الرواية ذاتها شخصية (ام وثاب) هذه المرأة البسيطة التي تكتشف ان زوجها يريد الزواج بامرأة أخرى، من دون اي اعتبار او احترام لها أو على اقل تقدير استشارتها واخذ رأيها، وبالتالي كان مصيرها في أخر المطاف مصيرا لا تحسد عليه : ((تريد الزواج ؟ لست اول شخص يريد الزواج بثانية، وقد يكون بزواجي هذا خيرا، أحس ان هذا الزواج سيغير في الكثير، لم أنكر ذنوبي، ولم ادع التقوى ولعل هذه المرأة ستكون مسك الختام))[21]. وتدخل (ام وثاب) دوامة معاناة وأزمات نفسية ومشاكل اجتماعية أجهزت عليها في أخر المطاف والى الأبد :((انقطع بكاء ام وثاب، ولم تعد الى سابق عهدها، ولكن بكاءها انقطع وصار حديثها مع خليل نادرا وقصيرا ، وظل هو يداري عاذرا إياها))[22]. ان لهذه الضغوط التي تمت ممارستها على (ام وثاب) والانتقاص من قدرتها وعدم

احترام مشاعرها وركنها جانبا وتهميشها، كلها ممارسات جعلت منها تنزوي وتتأثر نفسيا وتُصدم بواقع الحياة الذي جعلها هامشا، وليس مركزا على الرغم من انها الطرف الاهم والمعني بالقضية ، وتلك الوصاية الممارسة عليها وسلبها لكل حقوقها بل وحتى مسخ شخصيتها وجعل منها شخصا رافضا متذمرا متمردا على هذا الواقع ، مما دعاها الى ترك المجتمع والانزواء ، وهذه الظاهرة بالتأكيد ستقود الى العزلة ، وبالتالي الجنون في اخر المطاف.

أما في رواية (ريام وكفى) نجد حالا مشابها لحال سابقتها ام وثاب، فالزوجة الثانية تسمى (الضرة) وكثرة المشاكل والضغوط والمنافسة والأزمات والغيرة المفرطة جميعها أسباب تؤدي الى ان تفقد المرأة صوابها: ((ان أذني كانتا تلتقطان عبارة ظلت عالقة في ذهني لسنوات : الضرة مضرة .... سنوات عمري القليلة وقتذاك، لا تستوعب معنى العبارة ن كما ا ن أمي لم تبح بأحزانها أمام بناتها الصغيرات ... وحتى بعد سنوات من موت بهيجة لم تفرد لها امي مساحة من ذكرياتها لتحكي عن معاناتها بعد زواجه من ضرتها وإهماله المتعمد لها)) [23]. ان لهذه الضغوط اثار جسيمة على نفسية المرأة وتترك نتائجا مستقبلية خطيرة عليها، وعلى مستقبلها ومن ثم مستقبل عائلتها فردود الافعال تلك التي تكون نتيجة لتلك الممارسات التعسفية الاقصائية تكون اشبه بالزلزال الذي يدمر كل شيء فلا تكون ضحيته المرأة التي وقعت عليها تلك الممارسات وحسب بل تتسع لتشمل المحيط القريب بها.

ويضاف الى كل تلك الضغوط النفسية والأزمات والانتهاكات، هنالك ممارسات عنصرية تعاني منها المرأة ، وهي التمييز العنصري والتفريق بين إنجاب الإناث والذكور، وعلى الرغم من انها لا شأن لها بتحديد جنس الجنين مطلقا، ولكنها الضحية الأولى والأخيرة من ضحاياه : ((لطالما تساءلت : لماذا ينام ابي ليلة واحدة في الأسبوع مع أمي ، بينما بقية ليالي الأسبوع من حصة بهيجة ؟ هل من اجل إنجاب مزيد من الأبناء الذكور كما كانت جدتي مسعودة تقول لأمي مناكدة إياها ؟ أمي لا تثق بكلامها، وكم كانت تكرر بأن تحديد جنس الجنين لا علاقة له بالمرأة وانما بالرجل ، وتروح تشرح لأبي وجدتي معلومات لم أكن أعيها في ذلك العمر المبكر، فكانت جدتي مسعودة تسخر منها وأبي يتجاهلها .. وعندما أنجبت له بهيجة الولد ظلت جدتي لفترة طويلة تنكد على امي عيشتها))[24]. فلم تقتصر الممارسات التعسفية التي يمارسها المجتمع من جهة، والرجل من جهة ثانية على المرأة بل شاركت هنا المرأة ايضا في ظلم وقمع واضطهاد وتهميش بنات جنسها، فالمصائب لا تأتي فرادا.

ولم تقتصر هذه الضغوط والممارسات ضد المرأة على نهج او أسلوب محدد بعينه، فقد تنوعت تلك الانتهاكات، فنرى في الرواية نفسها الضغوط الممارسة ضد المرأة تودي بها الى الجنون بعد ضعفها وعدم قدرتها في الاستمرار على مواجهتها، ومن ثم الى الانتحار بعد ان تعرضت الضحية الى جريمة (زنا المحارم) : ((عمك الذي تصورته ابا، تحرش بصابرين أثناء ما كنت انا وهند في سوق الأقمشة ، وانت في الجامعة ، ولولا عناية الله لهتك عرضها، صابرين قاومته وشجت رأسه بالمزهرية . استغربت الأمر وقلت لأمي بأن عمي لا يمكن ان يقوم بفعل كهذا واذا قام به فعلا فهو خارج عن إرادته بسبب الحشيشة التي يتعاطاها، ويبدو ان كلامي أغاظ أمي كثيرا ففقدت أعصابها وردت علي بعنف : - واذا هتك عرض أختك ماذا سنفعل ؟ هل نبرر له فعلته لانه تحت سطوة الحشيشة ؟!))[25]. لقد عانت الضحية صابرين من ضغوطات نفسية وأزمات كبيرة لازمتها بعد الحادثة، ولم تستطع الخلاص منها فبدأت تدخل في دوامة الضغوط تلك : ((صابرين لا ترفع رأسها

هي الأخرى وأمي تعمل بصمت ... غابت ابتسامتها وحل ومحلها قنوط على الشفتين، تحرش عمي بصابرين ألقى بظلاله عليها ... وأخيرا بدأت العزلة تلف صابرين وتأخذها بعيدا عنا حتى وان كانت بيننا ، تبدو قانطة ويائسة من كل شيء، لا ضحكات رنانة ولا نكات تأتي على لسانها، تكون معنا لحظات وتغيب ساعات))[26].

لقد بدأت الفترة الأخطر في حياة الضحية صابرين، حيث العزلة التامة وعدم الرغبة في اي شيء : ((عندما سقطت صابرين في الكآبة انعدمت رغبتها في العمل وبدأت تميل الى العزلة ثم انتابها من حين لأخر نوبات بكاء حادة تجعلنا جميعا نهرع لها ونكون الى جانبها وتطيب أمي خاطرها فتعود شيئا فشيئا للعمل ... أحيانا تردد على لسانها كلمات عن الموت وما بعده جعلت أمي تخشى تركها وحيدة في البيت ، فأذا كنا مضطرين للخروج إما ان تخرجها معنا عنوة وإما تُبقي واحدة منا معها، وكم حاولت أمي إقناعها لزيارة احد الأطباء النفسانيين الا ان جميع محاولاتها كانت تواجه الاعتراض من قبل صابرين فكانت تصرخ : انا لست مجنونة))[27].

ـ المجنونة في الروايات الإيرانية :ـ

تشير تقارير أممية من منظمات متخصصة عن تمتع المرأة الإيرانية بما أطلقت عليه (بحبوحة حريات) اذا ما تم قياسها مع نظيراتها في منطقة الشرق الأوسط، ودائما ما تعتمد المنظمات الدولية على تعليم المرأة الذي تعده المنطلق او العامل الرئيس المتحكم في الحرية، الا ان بعض الممارسات التي تسلط على المرأة عموما ما تزال المرأة في إيران تعاني منها ، ولا تقتصر تلك الممارسات على الإيذاء والقيود والتعنيف والإساءات وعلى رأسها زواج القاصرات والحرمان الاقتصادي والاجتماعي ، والتمييز بين الجنسين ، اذ ان الهوة تتسع بين الجنسين يوما بعد يوم ، ولا بد من الإشارة أيضا الى ان بعض التقارير الأممية أعطت لإيران مراتبا متأخرة جدا في جانب المساواة بين الجنسين لم تشهدها من قبل.

نلحظ في رواية (سأطفئ المصابيح) المرأة المجنونة التي تحذرها الناس ويتحاشاها فهو يحكم على النتيجة ويتجاهل السبب الذي أوصلها الى هذا الحد وكم الضغوط التي تم ممارستها ضدها والمعاناة التي عانتها لتصل الى هذا الحد : ((بمجرد ان رأتنا المرأة ضحكت فصمتت أليس ونظرنا نحن الاثنين محملقتين إلى المرأة التي كانت تغني وترقص حول الحوض الخالي من الماء ... ثم أنحنى صاحب البيت والتقط قطعة خشب من على الأرض والتفت إلى المرأة وصاح (أستحي) ضحكت الشابات ... وقالت لنا العجوز (لا تخافوا) هي لا تؤذي ثم ألتقطت حجراً صغيراً من جانب الفرن وألقته ناحية المجنونة وصاحت فيها (أستحي) فغطت المرأة وجهها بين يديها وانخرطت في البكاء))[28]. ولا يختلف الحال كثيرا في رواية (درخت كج) (الشجرة العوجاء) اذ نجد شخصية الجدة المصابة بالزهايمر والمدمنة على أقراص المنوم والفاقدة لأهليتها العقلية أغلب أوقات اليوم ((قرص خواب مادر بزرگ همیشة بالای سرش است بایک لیوان آب که بعد از شروع خواب های سریالی تبدیل به پارچ شده است , با هر جرعه ی آب یک قرص اعصاب بالا می اندازد , می گوید این قرص ها آدم را از خودش دور می کند وانگار هرچه بیشترمی خوری دورتر می روی))[29].

الترجمة : حبوب المنوم دائماً موجودة عند رأس جدتي مع كأس ماء والذي تبدل بأبريق بعد ان أصبحت الأحلام (الكوابيس) متواصلة , ومع كل رشفة ماء تتناول حبة أعصاب وتقول ان هذه الحبوب تبعد الإنسان من عالمه ويبدو أنك كلما زدت الجرعة كلما أبتعدت أكثر فأكثر.

كما نجد شخصية المرأة المجنونة في رواية (درخت كج) ، وهي مجنونة و مدمنة على حبوب المنوم ايضا ((در حباط را هم كامل نبسته بود , چون مادرش قرص اعصاب می خورد وهيـچ وقت مفهوم خواب عميق را درک نكرده بود و وقتی او داشت می رفت خواب بود))[30].

الترجمة : لم يغلق باب فناء البيت بالكامل أيضاً , لأن أمه تتناول حبوب الأعصاب ولم تكن تشعر بمعنى النوم العميق أبداً , فهي كانت نائمة عندما كانت تذهب .

ونبقى في رواية (درخت كج) ونرى شخصية (نازنين) المجنونة لكن بشكل أخر (أنها مهووسة بشراء الأشياء الجديدة) بحيث لا تستطيع السيطرة على نفسها كلياً وعادتها السيئة هذه تصل حد الجنون ((نازنين هيـچ چيز را بيشتر از نـگاه كردن به جنس های جديد مغازه ها دوست نداشت , دلش می خواست بداند چه چيزی را تازه آورده اند وچه چيزی ماه ها وحتی سال ها است كه درگوشه ای خاک می خورد))[31].

الترجمة : نازنين لم تكن تفضل أبداً غير النظر إلى البضائع الجديدة في المحلات كانت ترغب بأن تعرف ما هو الشيء الجديد الذي نزل تواً وماهو الشيء الذي نزل قبل شهور أو حتى أعوام وبقي في زاوية ما يعلوه الغبار .

وتطالعنا شخصية (شهرزاد) المجنونة في رواية (آمده بودم بادخترم چای بخورم) (جئت لأشرب الشاي مع أبنتي) فشهرزاد المجنونة التي تعيش في الأوهام وتتهيأ لها أشياء لا وجود لها وتتصور تصورات ورؤى من الخيال ((دختر بلند شد رفت وسط بام ايستاد , نـگاه كرد به كوچه خالی بلكه پدر را ببيند , ندید رفت طرف ديـگر بام يواشكی ايستاد به تما شای حياط آن طرف بام ... دختر بـپرسد كه بابا چرا دير كرده , ولی انـگاركسی هُلش داده باشد پايين , افتاد توی حياط مادر جيغ كشيد .... وقتی بيدارشد به شهاب گفت : تو حياط آن طرف پشت با ممان را ديده بودی ....؟ گفت : آنطرف پشت بام ما فقط يـک خرابه ی خالی بود))[32].

الترجمة : قامت الفتاة ووقفت وسط سطح البيت نظرت إلى الزقاق علها ترى إياها , لم تره فذهبت إلى الناحية الأخرى منه , وبهدوء وقفت تنظر إلى الفناء في الجانب الأخر من سطح البيت , جاءت الفتاة لتسأل أباها لماذا تأخر ؟ ولكن يبدو ان أحداً ما دفعها إلى الأسفل , وقعت على الفناء , صرخت الأم وعندما أفاقت قالت لشهاب : هل رأيت قط الجانب الأخر من سطح بيتنا ؟ قال : ذاك الصوب من سطح بيتنا فيه فقط خربة خالية .

وفي رواية (سفر خاک) (السفر الأرضي – السفلي -) نرى شخصية (ماه بي بي) المصابة بجنون الغيرة حين تثور غيرتها، وتفقدها عقلها وتقدم على تصرفات غير منطقية فهي تتمنى ان تضرب (نجو) بنعليها وتكسر المقهى كله ((چند عابر كنجكاو به آنها نـگاه می كردند وماه بی بی دلش می خواست با نعلين می افتاد به جان نجو وتمام استكان ونعلبكی قهوه خانه را خرد وخمير می كرد))[33].

الترجمة : نظر إليهم عدد من المارة الفضوليين ,كانت (ماه بى بى) تتمنى لو ضربت بالنعل (نجو) لتكسر أقداح الشاي والصحون وتهشم كل ما في المقهى .

ونبقى في الرواية نفسها (سفر خاک) نجد شخصية (الأم) التي تنتابها موجة من الجنون بين الفينة والاخرى على الرغم من أنها لم تكن كذلك ((مادر فحش می داد ، به زمین , به زمان , به خالو . ابول .... مادریک ریزمی غرید ((بد ترکیب , زهر مارى چند ساله ریخت به حلقوم نخل زبون بسته اسیر))[34].

الترجمة : كانت أمي تسب وتشتم كل شيء , تشتم الخال أبول أمي تشكو بأستمرار وبشكل متواصل ((أيها البشع , وكانت تصب جام غضبها على النخل الصامت الذي لا حول له ولا قوة .

يرى البعض ان ((كل شيء سواء أكان ارضيا ام سماويا يخفي داخله سرا، وكلما تم الكشف عن سر ما ، فأن هذا السر سوف يحيل الى سر اخر ضمن حركة تصاعدية موجهة الى سر نهائي))[35] لاحظنا ان الضغط المسلط على المرأة عطفاً على كونها كائنا حساسا ملائكيا عطوفا رحيما، ومع كل ما يُمارس بحقها من ظلم وجور وتغطرس وتسلط وقمع وكبت ، قد جعل من المرأة أما أقوى وأكثر تجملاً أو مجنونة تعاني من أمراض نفسية وعُقدٍ ألمت بها ، وجعلت منها لا طبيعية, في حين ان كل ما ينتابها من سلوكيات وتصرفات غير طبيعية هي نتيجة وليست سبباً، والحال لا يختلف فيهِ عراقياً أو إيرانياً أو أي جنس أخر، فقد تمثلت معاناتها في محورين مهمين الأول انطلق من هويتها البايلوجية التكوينية والثاني تعلق بالأعراف والممارسات التي تتسلط ضدها سواء أكانت أسرية قريبة او بعيدة مجتمعية ، وان كل ردات الفعل التي نحكم عليها على أنها أفعال او أسباب ما هي الا نتائج للضغوط المسلطة عليها وهي عادة ما لا يمكن تحملها لجسامتها لتكون ابرز نتائجها ضعف المقاومة الجسدية، وبمرور الزمن تستسلم للانهيار التام لتكون فريسة او عرضة للأمراض بأنواعها وتكون نتيجتها الحتمية إما الجنون او الموت .

الهوامش :

1) موسوعة لالاند الفلسفية ، المجلد الثاني ، عويدات للنشر ، لبنان -2008م ، ص 1012.

2) الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة : ص832.

3) https://ayyamsyria.net/encyclopediaBA

4) ينظر : دراسات في الفلسفة المعاصرة : ص32.

5) https://www.lazemtefham.com

6) الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة : ص832-833.

7) موسوعة لالاند الفلسفية : ص 1123.

8) الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة : ص833.

9) ينظر : شلنج : ص314-315.

10)ينظر : الفلسفة انواعها ومشكلاتها : ص432.

11) ينظر : وليم جيمس : ص 73

12) الفلسفة الامريكية : ص 243

13) لسان العرب، الفعل جنن، ج1-515-516.

14) مدخل علم النفس : ص616

15)الاجهاد : ص 46

16) http://www.ahewar.org **تيمة الجنون في رواية مدن الملح (التيه نموذجا)**

17) عطر التفاح :26

18) قراءة في قصيدة على قبر غيلان الدمشقي للشاعر عبد العزيز المقالح :85

19) دنيا الوجد : 23

20) دنيا الوجد : 29

21) دنيا الوجد : 171

22) دنيا الوجد : 180

23) ريام وكفى : 19

24) ريام وكفى : 22

25) ريام وكفى : 90

26) ريام وكفى :95

27) ريام وكفى : 98

28) ساطفئ المصابيح : 230

29)درخت كج : 31

30) درخت كج:53

31) درخت كج:73

32) امده بودم بادخترم چاى بخورم : 47 – 48

33) سفر خاک : 38

34) سفر خاک:54-55

35) جينالوجيا التفكيك: 82

المصادر والمراجع :

- آمده بودم بادخترم چای بخورم : شیوا ارسطوی ,نشر مرکز – تهران , 1376 هـ . ش , تعداد صفحات 95 .

- الاجهاد : جان بنجامان ستورا ، منشورات عيدات ، بيروت – لبنان 1997م.

- جينالوجيا التفكيك : د.حامد مردان السامر ود.صبار شبوط طلاع، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية في جامعة ذي قار ، المجلد(4)، العدد(4)، كانون الاول 2014م.

- دراسات في الفلسفة المعاصرة : زكريا ابراهيم ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ج1-1968م
- درخت کج : ضیاء الدین وظیفة شجاع , أنتشارات طهران , روزنه , چاب أول - 1392 هـ . ش تعداد صفحات 110
- دنيا الوجد : جبير صالح القرغولي ، دار الينابيع ، سوريا – دمشق ، ط1.
- ريام وكفى : هدية حسين ، المؤسسة العرابية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1-2014م.
- سأطفئ المصابيح : زويا پيرزاد , ترجمة : هويدا عزت محمد – منى أحمد حامد , مكتبة الشروق الدولية – القاهرة , ط 1 – يناير 2007 م .
- سفر خاک : إبراهيم مهدى زاده , ناشر : نشر ثالث , چاب أول 1390 هـ . ش , تعداد صفحات : 100 .
- شلنج : عبد الرحمن بدوي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ط2- 1981م
- عطر التفاح : إرادة الجبوري , دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ط 1 - 1996 م .
- الفلسفة الامريكية : جيرار ديلودال ، ترجمة : جورج كتورة و الهام الشعراني ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ط1-2009،
- الفلسفة انواعها ومشكلاتها : هنترميد ، ترجمة : فؤاد زكريا ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط2-1975م
- قراءة في قصيدة على قبر غيلان الدمشقي للشاعر عبد العزيز المقالح: د.احمد مقبل محمد المنصوري ، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية في جامعة ذي قار ، المجلد (3) العدد (1) 2013م, .
- لسان العرب : ابن منظور , دار الحديث , القاهرة , 9 مجلد - 2003 م .
- مدخل علم النفس : لندا دافيدوف ، ترجمة سيد الطواب ، دار ماكجروهيل ، القاهرة مصر ، 1983م.
- موسوعة لالاند الفلسفية : اندريه لالاند ، تعريب : خليل احمد خليل ، عويدات للنشر والطباعة ، لبنان ، المجلد الثاني -2008م.
- الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة : مانع بن حماد الجهني ، المجلد الثاني ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، ط4-1420هـ.
- وليم جيمس : محمد فتحي الشنيطي ، القاهرة ط1-1957م ،

الشبكة العنكبوتية (الانترنت):

https://ayyamsyria.net/encyclopediaBA -
https://www.lazemtefham.com -
http://www.ahewar.org -